



صورة المجتمع النجفي في شعر صالح الجعفري

م.د مرتضى شناوة فاهم العرداوي
جامعة الكوفة / كلية التربية المختلطة

المخلص

يتناول هذا البحث طبيعة المجتمع وموضوعاتها في شعر الجعفري والبواعث النفسية التي أسهمت في تشكيلها, ويعنى باستجلاء صور طبيعة المجتمع عنده في مختلف قصائده التي دعا من خلالها الى التطور ومواكبة العصر في مختلف نواحي الحياة, وحاولنا الكشف عن هذه الصور في مختلف المجالات السياسية والأدبية والاجتماعية ومدى تأثيرها في الأوساط المجتمعية على الصعيدين المحلي والدولي.

Summary

This research deals with the nature of the society and its topics in Jaafari Poetry and its relation in Psychology aspects that contributed to its formation . He deals with all images of the nature of society in his various poems which aims through it to the development in all aspects of life. We tried to discover these images in the (political, literary and social) field and its effects on both the local and international levels of society.

المقدمة

الحمدُ لله ربَّ العالمين، والصلاة والسلام على محمد وأل محمد
الأوصياء المرضيين وعلى أصحابه المنتجبين ومن أتبعهم بإحسان الى يوم
الدين .

وبعد

تحتل النجف الأشرف مركزاً دينياً، وعلمياً مهماً في العالم؛ فهي مريض
أمير المؤمنين (عليه السلام) ومقر المرجعية العليا، وبلد الحضارات، وملتقى
الثقافات وهي بمثابة العلم الجم، ومعدن الخلق العظيم وموقع الرأي الأصيل،
ومقر التراث المعبد، وكانت النجف الأشرف وما زالت النواة الأساسية التي
ينبعث منها نور الثقافات المتنوعة، فقد أنجبت الكثير من العلماء والشعراء
والكتّاب والمفكرين، فضلاً عن إنتاجها تراثاً ضخماً من العطاء الإنساني النافع
والثروة الفكرية المعطاء .

من هنا ومنذ دراستي الاولى كانت رغبتي بدراسة شعراء هذه المدينة،
فجاء اقتراح أستاذي وأستاذ الدراسات العليا، الأستاذ الدكتور سعيد عدنان
المحنة بدراسة (صورة المجتمع النجفي في شعر صالح الجعفري) فكان
اقتراحه منسجماً ورغبتي ليكون عنواناً لدراستي، ومنذ بدايتي الأولى في قراءة
ديوان الجعفري فقد زادني شوقاً للمضي في دراسة هذا الموضوع .

وسلكت في هذا البحث سبيل المنهج الوصفي، وطففت أستقرئ ما في

شعره منتقياً النصوص التي تنسجم مع مفاصل البحث .

وقد قام البحث على ثلاثة مباحث يسبقها مقدمة وتمهيد ثم خاتمة . فكان التمهيد منصّباً على التعريف بالشاعر من خلال دراسة حياته ونسبه ومكانته الأدبية . أما المبحث الأول فجاء بعنوان الأدب والمجتمع وكان بفقرتين الأولى : علاقة الأدب بالمجتمع, والثانية : الأحوال الاجتماعية والثقافية للمجتمع النجفي في القرن العشرين .

وتناولت في المبحث الثاني الحياة الاجتماعية للمجتمع النجفي بصورها المختلفة وتكرس المبحث الثالث على دراسة الحياة السياسية والأدبية للمجتمع النجفي في عصر الشاعر .

وتضمنت الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها هذا البحث المتواضع, ثم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها دراستي .

ومن الله التوفيق ..

التمهيد

لمحات من حياة الشاعر صالح الجعفري

حياته:

هو الأستاذ صالح بن الشيخ الكريم بن صالح بن مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر الكبير صاحب (كشف الغطاء) الكتاب الذي صار لقباً عرفت به الأسرة ذات المركز الديني والأدبي والوجاهة في النجف، وقد عرف المترجم له بهذا اللقب، إلا أنه غيره إلى الجعفري نسبة إلى الشيخ جعفر نفسه (١).

ولد صالح في النجف الأشرف سنة (١٣٢٦ هـ / ١٩٠٧ م) قد توفي والده وهو في الثامنة فتكفله خاله الشيخ أحمد مولى، وشرع يتعلم ويتقدم في الدراسة على النهج المألوف في المدينة الدينية الأدبية فدرس النحو والفقه والمنطق والبلاغة. وتلمذه في الشعر على الشيخ مهدي الحجار فبدأ النظم وهو في السادسة عشرة.

ثم وسّع افقه بالمطالعات الحديثة مما كان يرد إلى النجف، وهو غير قليل من كتب ومجلّات مصرية وسورية تزيد عن مدى رؤية قارئها وتحرك فكره، وكان في طليعة المجددين، ولم يقف عند الشعر وإنما زاول النثر وعرف به، وكان ينشر في المجلات النجفية، ومنها مجلة النجف، والصادق وغيرها.

وتميّز الفتى باستقامة أخلاقه وحسن سيرته وشدّته في الحق وصلابته في الرأي وجراته في المعتقد، وهو في نثره وشعره يضيق بالقديم العتيق من

التقاليد والأفكار لدرجة الثورة عليه والحماسة الى الجديد في الدراسة والتعليم وفي الإجتماع والسياسة بحيث أمتلك لبّه واستوعب اهتمامه وهو يدعو الى التعليم، وتعليم المرأة، وهو وطني قومي يؤلمه ما كانت عليه البلاد من تأخر وما كان عليه أغلب رجال السياسة من تدنٍ وما يعانيه العرب من فرقة وشغلت (فلسطين) مكاناً مهماً من اهتمامه وشعره .

وهو مقابل ذلك يفخر بالمجد العربي الذي حفظه التاريخ ويرتاح لكل خير يُصيب الأمة ويمجد كل شخصية تؤدي خدمة للوطن والأمة .

لقد كان لولب حركة دائبة، وعلماً من أنصار الجديد ومناوأة أنصاره القديم، ورأى أن لابد من مؤسسة تلم شتات الشباب وتقع من النجف موقعاً بارزاً في تقييم الندوات وتحثفي بمن يرد الى البلدة من رجال الفكر والأدب ولا سيما أولئك القادمون من مصر أو لبنان ... فكان أن تأسست سنة ١٩٣٢ (جمعية الرابطة العلمية الأدبية) وكان هو أمين سرّها وأبرز اعضائها العاملين (٢).

تزوج سنة ١٩٣٤، وعين مدرساً بثانوية النجف ١٩٣٥/٥/٢٨ ودخل في عهد الصمت الشعري لأمه عليه أقرانه وعاتبوه، ولكنه كان يرى الصمت أولى وإن له في ذلك ظروفه الخاصة، ولا يعني السكوت المطلق، لأنّه كان ينظم بين الحين والحين كلّما سنحت له الفرصة خلال جهده المدرسي في التدريس وتوجيه الطلاب والادارة، ومن نتاجاته الأدبية : شرح ديوان السيد حيدر الحلي وقد صدرَ له الجزء الاول، وتعريب رباعيات حسين قدسي وقد صدر عام ١٩٥٦، وفي هذا العام كفّ بصره فجأة وبعدها قدم عام ١٩٦٠ طلباً لإحالاته

على التقاعد فُلِّي طلبه لوجهة السبب, وانتقل بعدها الى بغداد فأقام فيها, وشرع الشعر يعاوده واكتشف مجلس (الشعر باق) وكان ندوة أدبية يتصدّرها الحاج حسين الشعر باف, ويديرها السيد محمود الحبوبي فكان يأنس بالزيارة ويفيد ويستفيد وينشر بين حين وحين ما يجد له من شعر في مجلة الإيمان أو البلاغ أو الرابطة.

وتوفي ببغداد ٢١/أب/١٩٧٩م. وقد أقامت له جمعية الرابطة الأدبية في النجف الأشرف حفلاً اربعينياً رثته واستعادت اعماله وأفكاره ومكانته الفكرية والقومية والأدبية.

شعره ومكانته الأدبية :

يُذكر أنّه بدأ الشعر وهو في السادسة عشر وقد كتب في اغلب الأغراض الشعرية المعروفة^(٣). والجعفري أديب فحل قلّ من رزق مواهبه من أخذانه فقد واجه مجتمعه وهو مسلح بمجموعة من القوى الاعتبارية وشفعها بالعلم والأدب فهو من أسرة ملكت ناصية العلم زهاء قرنين من الزمن وتحكمت في تاريخ الأدب النجفي فاحتلت أكثر من صفحاته, وتصدرت المجالس فكان لا يستكثر عليها ذلك, وحكمت شؤون الناس في الدنيا والدين, وهذا السلاح له مفعوله يومذاك, وما أن جاء العصر الحديث بسلاحه الجديد إلّا والجعفري أول حاملين له والمجاوبين لميوله والمندفعين وراء أرائه, والمبشرين من الكثير من الحقائق التي تعتز بها ولكنه في دور التوديع لعهد أبائه كان يواجه كثيراً من القوى المتبقية, فهو يدافع عن أرائه بكل قوه وجرأة, فهو حين يدعو الى السفر في بلد ديني كالنجف وفي زمن كان القارئ للجريدة يرمي بالزندقة كان لا

يخشى أن يطعن كما لم يعب حين طعن, وينقد الحاكمين والظالمين وأذ ناب الاستعمار, فكان يتمتع بمكانة أدبية واضحة^(٤).

المبحث الأول

الأدب والمجتمع

أولاً : علاقة الأدب بالمجتمع:

إنَّ علاقة الشعر بالحياة علاقة وثيقة وموضوع الشعر منه أعرق الموضوعات اتصالاً بنفس الأمة التي تنمره ومن أعلق الأمور بخصائص حياتها, وتفصيلها, ودقائقها^(٥), لأن الشعر فن يصور الحياة بمختلف عواطفها وحوادثها وانفعالاتها^(٦), فهو يكاد يدخل في كل شأن من شؤون الحياة العربية^(٧).

فموضوع الأدب عامة والشعر خاصة هو الإنسان والإنسان بطبعه كائن اجتماعي, لا يستطيع الانعزال عما حوله فلا بد له أن يتفاعل معها باستمرار, مما يخلق لديه جملة من العلاقات المتنوعة التي يحاول التنسيق فيما بينها ليأمن لنفسه نوعاً من التوائم والاستقرار, والشاعر بما أوتي من رهافة الحس وكثافة الشعور فهو أكثر الناس تفاعلاً مع مجتمعه, ومهما حاول الابتعاد عنه شعر بالغربة تجاهه, فإنه لا يستطيع أن يبعد فكره ووجدانه وخياله وأحاسيسه المتوقدة, ومن هنا كانت عملية التلاؤم والانسجام معه أكثر تعقيداً واغنى, بل أكثر صعوبة فلا يجد لها مخرجاً إلا من خلال عالمه الإبداعي, وهذا يعني إن العالم الشعري ليس خاصاً بالشاعر وحده بل هو تجسيد للعلاقات الاجتماعية

في تقاطعاتها وتشابكاتها، ولكن وفق رؤيته الخاصة وتطلعاته نحو الانسجام والاستقرار^(٨).

فالشاعر يكون أكثر انسجاماً مع المجتمع من أي إنسان آخر «ولا شك أنّ الأديب يعبر بشكل أو بآخر عن الأوضاع والاتجاهات والقيم الاجتماعية فأدب الأديب يشير الى المجتمع الذي نشأ منه، بل يشير الى الفئة الاجتماعية التي ينتسب إليها وما شاع فيها من تقاليد اجتماعية ومن معايير اخلاقية....»^(٩) فالشاعر أنسان يتفاعل مع المجتمع ويستجيب لمؤثراته لذلك اعتبر النقاد والأدباء بأن الشعر «روح العصر ونتاج المجتمع»^(١٠)

والأساس الاجتماعي يربط بين العمل الفني وظروف الحياة القائمة، ومن خلال هذا تتحد القيمة^(١١).

فالشعر هو «روح المجتمع الذي تنفخ فيه الحياة»^(١٢) ومما تقدم يمكن القول بأن العلاقة بين الشاعر والمجتمع هي علاقة وطيدة، لأنّه يستمد صوره من مجتمعه وبيئته والواقع الذي يعيش فيه من العادات والتقاليد .

فالمناسبات الاجتماعية تضيف طابعاً وجدانياً على إحساس الشاعر مما تجعله يرغب في إبراز هذا الإحساس بأقصى ما يمكن من البيان والتأكيد^(١٣).

والمتمحّص في شعر الجعفري يجد أنّ الشاعر شديد الارتباط بالمجتمع، فلم يترك مناسبة إلاّ وسجّل فيها شيئاً من شعره، وينفذ من خلالها للدعوة الى الإصلاح والوصول إلى درجة الرقي والتحضّر، فكثرة المناسبات وسيلة لإلقاء القصائد الرائعة، وجعلوا منها منابر للإنشاء وقد برز الشعراء المبدعون بما يحقق في مجالسهم المتعة والتسلية التي ينشدونها، تلك الحوافز كونت

العامل الاجتماعي في الشعر النجفي^(١٤).

لذلك يقول بونالد «الأدب تعبير عن المجتمع»^(١٥) وتناول معظم الأغراض الاجتماعية منها المراسلات بينه وبين أصدقائه، وفي رثاء بعض الأساتذة، وفي التهنئة التي تخص الولادات، وزواج بعض الأصدقاء والأقارب وغيرها من المناسبات الأخرى .

ثانياً/الأحوال الاجتماعية والثقافية للمجتمع النجفي في القرن العشرين:

لما كان الوسط الاجتماعي يؤثر تأثيراً كبيراً في حياة الشعراء وتنعكس حالاته وتغيراته الفكرية والسياسية سلباً أو إيجاباً في نتاجاتهم، كان حريّ بنا ونحن بصدد دراسة شاعر نجفي أن نسلط الضوء على هذه المدينة التي ولد فيها وترعرع في أحضانها، ونتعرف على الموروث الثقافي والحضاري لهذه المدينة وبواعث الفكر والمعرفة التي لا بد للشاعر من أن يتأثر بها فتعكس في نتاجاته .

لقد بدأ العراق ينهض فكرياً مع مطلع القرن العشرين، إذ وعى شعبه واطلع على النهضة الأدبية والعلمية التي سبقته إليها بعض البلدان العربية، فقد شهدت مدينة النجف الأشرف مع بداية القرن العشرين تغيرات اجتماعية كبيرة متأتية أيضاً مع التغيرات التي طرأت على المنطقة كنمو الحركة القومية العربية وقيام الحركات الدستورية في كل من الدول العثمانية وإيران، إذ كانت الصحف التي أخذت بالورود الى النجف بنقل هذه الأحداث والتغيرات فأطلع النجفيون على مجريات هذه الأحداث المحيطة بهم^(١٦).

لقد كانت طبقة العلماء والأدباء في النجف هي الطبقة العليا والمتنفذة آنذاك وكانت هذه الطبقة تتقدم على كافة الطبقات حتى التجار والأثرياء، إذ كانت أسس التقييم الطبقي في النجف تقوم على عاملي الثقافة والفكر، إذ لا توضع طبقة الأثرياء من التجار إلا في الصفوف الخلفية من التقييم بعد أن يتقدم عليه العلماء والأدباء والشعراء^(١٧)، مما يدل دلالة صريحة على مكانة العلم والعلماء في النجف .

لقد اجتمعت عدة عوامل لتجعل من النجف بيئة ثقافية ودينية، أهمها وأولها وجود مرقد الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وتوافد الزوار عليه بمختلف ألسنتهم وثقافتهم، وكذلك انتقال الشيخ الطوسي إليها وتأسيسه الحوزة العلمية فيها هذه المؤسسة العلمية الكبيرة التي تمتد جذورها إلى تاريخ طويل وتمتلك إرثاً معرفياً كبيراً، وعلاوة على المجالس النجفية التي أضافت للمدينة جواً علمياً وأدبياً إذ كان للأسر النجفية نوادٍ ومجالس يتطارع روادها الشعر وقضاياها والعلم ومسائله المختلفة من التجديد الفقهي والأصولي الكلامي^(١٨) .

لقد كانت المجالس الأدبية والشعرية من أكثر المجالس العلمية عدداً فلا تكاد تخلو اسرة في النجف إلا وكان لها منتدى أدبي، إذ كانت هذه المجالس محك الملكات والمواهب وكانت العامل الأقوى في بلورة الوعي الفكري والثقافي لدى أبناء هذه المدينة^(١٩). وجرت العادة في أن تعقد هذه المجالس في يوم الخميس والجمعة من كل أسبوع وفي المناسبات كالأعراس والوفيات وكذلك كانت هذه المجالس تعقد في المناسبات الدينية فضلاً عن المناسبات الأخرى، ولم يكن علماء الدين في النجف بمنأى عن هذه المجالس فقد أخذ

الاهتمام بالأدب والشعر مأخذه من بعضهم, ويظهر هذا الاهتمام جلياً في الكثير من إبداعاتهم ونتاجاتهم^(٢٠).

لقد كان لهذه المجالس فائدة مهمة أخرى غير فائدة رفد الثقافة والفكر, هي تقوية الأواصر الاجتماعية بين أبناء النجف وترسيخ علاقات المودة والتآخي بينهم فضلاً عن تعلم الأطفال والناشئين الدين والأدب والشعر, وينبغي القول أن الأسر النجفية كانت قد اعتادت على تعليم أبنائها القراءة والكتابة في المنازل ومضت أخرى إلى إرسال أبنائها إلى المساجد للتعلم على أيدي الكتاتيب^(٢١). أما المرأة فقد كانت مقيدة في حياتها بأحكام الشريعة الإسلامية والأعراف الاجتماعية, إذ كانت الأسر تحرص على تعليم مبادئ الإسلام لبناتها في البيوت, ويكون من أفراد الأسرة الآخرين فتنعلم الفتاة القراءة والكتابة والقرآن...^(٢٢).

أما المدارس الرسمية, فلا توجد مدرسة رسمية في النجف قبل سنة ١٩١٨ م, إذ تأسست فيها أول مدرسة ابتدائية في هذه السنة وسميت ب(المدرسة الاميرية الاولى) واستبدلت تسميتها فيما بعد ب(الغفاري)^(٢٣). وربما كان لسيادة العادات الاجتماعية وتحكم الاعراف العشائرية أثر في هذه التخلف ويبدو أن مردها هو قوة عروبة النجف لقربها من الصحراء وقد اقتضت سياسة الدولة العثمانية في العراق أن تبقى القبائل على تخلفها وجهلها, فضلاً عن ذلك أن النجفيين كانوا يعدون المدارس مفسدة للدين والأخلاق^(٢٤).

وبعد ذلك أخذ تأسس المدارس الواحدة تلو الأخرى ولم يقتصر على المدارس الابتدائية وإنما الثانوية والاعدادية ففي سنة ١٩٤٢ تأسست ثانوية النجف التي اطلق عليها (اعدادية النجف), ولقد انبثق في هذه المدارس نشرات

استقطبت بعض الأقلام المبدعة والمواهب الفنيّة، إذ برز فيها الكثير من الإبداعات الأدبية والشعرية والثقافية وكانت هذه المدارس تتبارى فيما بينها من أجل إصدار نشرة غنية بموادها الأدبية والعلمية، وقد تم طبع هذه النشرات على نحوٍ واسع وأخذت تصدر باستمرار مثل (أقلام الطلبة)، التي كانت تصدر من المدرسة الثانوية وكان يشرف عليها صالح الجعفري مدرس الأدب العربي في الثانوية^(٢٥) وفي غضون ذلك بدأ تنامي التحوّل في قناعة النجفيين بضرورة تعليم البنات وتزامنت معها ظهور دعوات بعض الشعراء في النجف لفتح مدارس رسمية للبنات .

وفضلاً عن المجالس الأدبية والمدارس فإنه يمكن أن تعد المكتبات العامة رافداً مهماً من روافد الحركة الثقافية في النجف، فقد تأسست المكتبة العلوية ثم توالى المكتبات في النجف، أما الصحف والمجلات التي كانت تصدر في النجف فربما كانت تمثل المؤثر الأهم والأقوى في بيان مدى اهتمام النجفيين بالثقافة والأدب وهذه الصحف كثيره منها صحيفة (الهاتف) التي عُيّنت بدراسة الأدب والشعر ودراسة الحياة السياسية والاجتماعية في النجف الاشراف وفي العراق عموماً^(٢٦). وكل هذه الأمور التي ذكرناها هي الركيزة الأساسية والفكرية لثقافة المجتمع النجفي الاجتماعية والفكرية، وقد تركت أثراً واضحاً في نفسية الشاعر صالح الجعفري.

المبحث الثاني

الحياة الاجتماعية

المرأة النجفية:

على الرغم من امتلاك المرأة النجفية جلّ التقدير والاحترام، إلا أنّ المجتمع بصفاته الدينية والعشائرية جعلها تقبع في بيتها وتلبي كل متطلبات الزوج اليومية، وبقيت جزءاً من بيتها، لا تختلط بغير أهلها إلا في المناسبات الدينية والمآتم الحسينية أو حفلات الأعراس التي تقيمها نساء المحلة، وإذا رغبت في الخروج ورأت رجلاً من بعيد فإنها تتنحى في زاوية من الطريق حتى يبعد عنها، على الرغم من إنها حرصت كل الحرص على ارتداء ما يستر بدنّها لأنها ترى فيه عنواناً لسلامة دينها وأخلاقها^(٢٧).

ونتيجة لذلك فقد برزت مجموعة دعوات للمطالبة بتخليص المرأة من مجموعة من الآفات (الأمية، الجهل، المرض) ومن أبرزها دعوة محمدرضا الشيببي بعدم اضطهاد المرأة لأن «الاضطهاد يؤدي الى عكس المقصود منه»^(٢٨).

وكذلك الجعفري كان من الشعراء المجددين، وما إن ظهر العصر الحديث بمفاهيمه الجديدة، حتى برز الجعفري أول الحاملين لرايائه، والمندفعين بتياره والمبشرين بالكثير من حقائقه بالرغم من المقاومة العنيفة التي واجهها من أعمدة أسرته في التصدي لتلك الافكار، وكان يصمد أمامها صموداً

اسطورياً، يدلل على أرائه بكل قوة، فقد استطاع أن يقف في وسط ديني محافظ كالنجف عام ١٩٣٠، ويطالب في قصيدة له بتعليم المرأة وحرية مساواتها بالرجل، وفسح المجال أمامها في بناء الأجيال^(٢٩) فيقول :

هَذَّبُوهَا فَأَنْهَاهَا بِشَرُّ	لكمال الحياة تفتقر
النَّوَامِيسُ بَيْنَمَا شَرَعُ	هي أنثى وأخرُ ذَكَرُ
أَلَكِي تَسْتَحِيلُ حَامِضَةٌ	في زوايا البيوت تُدْخِرُ
كَيْفَ يُعْطَى ثَمَارُهُ شَجَرٌ	في الحصى والتراب منقبرُ ^(٣٠)

ويقول ايضاً:

كَيْفَ تَرْجُو نَجَاحَهَا فَنَةً	كللتها البرودُ والسُجْفُ
مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ نِسْوَتُهَا	تتهادى كأنَّهَا تُحْفُ
كُلَّمَا أَبْصَرْتُ عَلَى كُتُبٍ	شُجْباً لِلْجَدِيدِ تَرْتَجِفُ
تَتَحَرَّى إِسْتِقْلَالَ أُمَّتِهَا	أُخْسَأُوا إِنْ ذَلِكَ صَلَفُ
كَمْ حَصَانٍ تَرْوَحُ سَافِرَةً	بالحيا والعفاف تلتحفُ ^(٣١)

نلاحظ شجاعة الموقف واضحة على النصين وعلى شخصية الشاعر، وهو يدعو الى حرية المرأة وعدم تقيدها بالضوابط المجتمعية، والتي تتجسد بطابع العصبيّة، ولعلّ الشاعر ينطلق من مفهوم ينبذ التعصب المجتمعي وفرض القيود على حرية المرأة من حيث التعليم ومشاركتها الرجل في العمل وابداع الراي فهو يرى أنّ رقي المجتمع رهين بإعطاء الحريات لكل الفئات والأجناس البشرية في مزاولة أعمالهم وابداء آراءهم، ولهذا نادى الجعفري بهذا التوجه الفكري بنظرة إنسانية شاملة . ثم يقول :

انظروا المرأة التي سلفت	كيف أعلى مقاماتها الأوّل
فهي تأتي (عكاظ) نابغةً	وهي في الحرب فارسٌ بطلٌ

وهي في بيتها لأشبلها امرأة، وهي في اللقا رجل^(٣٢)

من هذه الابيات جعل الشاعر تعليلاً لرؤيته ودعواه لمنزلة المرأة وانصافها في المجتمع. فهو يقارن بين المرأة في الزمن الماضي والمرأة النجفية في زمنه. إذ كانت المرأة تشارك الرجل في الحرب وتنشد الشعر، فالشاعر مارس دور ثقافي بروح التحدي والانفتاح على العالم؛ لأن «المجتمع النجفي في المدة التي عاش فيها الشاعر في مقتبل عمره، يعيش في حالة من الركود والتوقع. كان من سمات تلك الحقبة، انكماش المجتمع وابتعاد عن مسامرة العالم الخارجي...»^(٣٣).

الأزياء :

لقد احتلت مدينة النجف الأشرف مكانة سامية بين المدن العربية والإسلامية المهمة لذا أصبحت النجف مركزاً لاستقطاب الناس من مختلف المدن سواء كانت عراقية أم من مناطق عديدة اسلامية وأجنبية وهذا بالتأكيد يعكس طبيعة الأزياء التي يرتديها الوافدين الى المدينة، إلا أنَّ أهالي مدينة النجف يتميزون بالأزياء المصنوعة في المدينة، فملابس رجال الدين على سبيل المثال اختص بزي واحد تقريباً فكان لباسهم العمامة والجبّة والعباءة فضلاً عن أنَّ بعضهم من ألزم نفسه باحترام زي عائلته الذي فطن عليه، بالرغم من اختلاف مركزه الاجتماعي^(٣٤)، والمجتمع النجفي متفاوت في هذا الجانب، ومن ذلك قول الشاعر مؤخراً عام لبس فيه أولاده العلامة الشيخ علي كاشف الغطاء العمائم فيقول: (السريع)

إن يفخر الناس بتيجانهم يزيناها المسجد والعاج

ففي الغد الزاهي بأبنائنا أرخته : (سيفخر التاج) (٣٥)

والغالب على المجتمع النجفي آنذاك الطابع الحوزوي الذي يتميز
بارتداء العمامة أو الكشيده وهذا ما نلاحظه في قول الشاعر في القصيدة التي
ألقيت في ثانوية النجف أثناء زيارة احد الوفود الثقافية العربية بتاريخ
١٩٤٣/٢/١٦ فيقول: (مجزوء الكامل)

حُيِّتْ يا وفد الثقافة والحضارة والكرامة
حييت موفور التجلّة بالترحل والإقامة
هذي القلوب تسابقت كلّ يناولك احترامه
حياتها انتظمت كتاج فوق رأسك أو عمامة
رسل الثقافة يزد هي بقدمكم بلد الإمامة

ويظهر أن الشاعر يُشير الى خصوصية المجتمع النجفي في استقبال
الضيوف ولاسيما طبقة العلماء الذين يمثلون الإمامة بروحيتهم وزيّهم
الإسلامي. وهم يستقبلون الضيوف بكل رحابة واحترام. وهي في الوقت نفسه
دعوة من الشاعر للإنتفاع على العالم وإقامة العلاقات التي من شأنها تزيد من
توطيد الثقافة الفكرية في هذه المدينة . أما النساء فكُنَّ يلبسن العباء الصوفية،
أما الوجه فيغطى بالحجاب (٣٦). وهذا ما صورّه الشاعر في قوله:

كيف ترجو نجاحها فئةً كاللها البرود السجف
على العكس مومس خطرت وعليها الدثار والقطف

ويبدو التذمر واضحاً على الشاعر من خلال هذه العادات والتقاليد التي
فرضت على المرأة بطابع التعصب الديني والقبلي في ذلك الوقت، وصوّر زي

المرأة النجفية وما عانتها في تلك الحقبة من ارتداء الحجاب والعباءة، وقد أجرى ذلك على لسان الطير ليستدل على الحرية فيقول:

واستوى يخطب الزهور ويشدو بريق الالحيان والأطوار
قال: داء الحجاب داء قال حرّمته شرائع الأطيّار
أي فرق بين الخلاق حتّى بأن هذا، وذلك في إضمار
شرّع نحن في الحياة سواءً والمساواة شيمة
الأحرار (٣٧)

في هذه الأبيات دعوة صريحة لمنح المرأة حريتها ودعوة الشاعر دعوة إنسانية تهدف الى التقدم والازدهار وعدم الإنطواء على النفس بسبب العصبية الممنهجة .

طبيعة المناسبات والعلاقات في المجتمع النجفي:

لم يلتزم الشاعر بتصويره المناسبات الدينية فقط التي كانت تقام في النجف آنذاك وإنما تفاعل مع الكثير من المناسبات والعلاقات التي تجسد واقع المجتمع النجفي، لأنّ الأدب لا يحدث إلا في سياق اجتماعي (٣٨).

ومن هذه المناسبات قوله في الاحتفال الذي اقيم في جمعية الرابطة العلمية في النجف الأشرف في ١٠/٤/١٩٤٠ بمناسبة توديع سعادة قائم مقام النجف السيد حسن الجواد وقد حضر في هذا الاحتفال الكثير من الشباب والمتقنين في النجف الأشرف فيقول : (مجزوء الكامل)

عادت لميدان الكفاح غراء مشرقة النواحي

عادت ومك إهابها عزم يبشـر بالنجاح
ملقى العقول ومجمع الـ لأراء والأدب الصّراح
مهوى القلوب وملقى الـ لأرواح من نبت البطاح^(٣٩)

ومن المناسبات التي أقامها المجتمع النجفي هي اقامة الحفلات التأبينية للعلماء والأدباء والكتّاب ومنها الحفل التأبيني الذي أقيم على روح المرحوم محمد علي اليعقوبي من أشهر خطباء المنبر الحسيني، عميد الرابطة الأدبية في النجف^(٤٠) فيقول: (الكامل)

أودى (أبو موسى الهمام) فلا شعر نخر له ولا يخسر
وأبو العضات البالغات فمن زيد إذا ما قال أو عمرو
أودى ابن يعقوب فأعيننا مبيضّة ودموعنا حُملاً
يبقى مصابك ما بقى العمر لا عام يمحوه ولا دهر^(٤١)

ويعد ادب المناسبات لوناً من ألوان الأدب النجفي خاصة حيث يوجد فيه لوناً يختلف عن باقي الشعر، لأنه يكون أصدق في التعبير عن الخواطر وأعذب في السبك^(٤٢).

وصور الشاعر في رثائه العلامة الكبير الشيخ جواد البلاغي*، وحزن أبناء النجف الأشرف بفقدهم هذا العالم الكبير الذي كان يمثل الوجه المشرق للمدينة لمواقفه في محاجة أرباب الديانات غير المسلمة، وغيرها من المواقف الإنسانية والعلمية التي قام بها آنذاك.^(٤٣)

فيقول : (البسيط)

عجبت والدهر مملوء الرّداً عجباً إنّ الهدى سرّة في التراب

ينكتُم

يا مبدأ الفضل ثِقْ أن الفضائل في ما حَبَّرْته يداك اليوم

تختتم

بالأمس كنت لدين المصطفى أملاً واليوم أن لدين

المصطفى ألم

يا أمة فُقدت في فقد واحدٍها وقد تموت بموت الواحد

الأمم

جسد الشاعر في هذه الأبيات معاني اجتماعية، وينبع هذا الإحساس من النظر الى المراثي بوصفه ممثلاً لهذه الأمة ورمزها، فقد ربط حياتها بحياة ممثلها .

وقد تميزت بيئة النجف الأدبية بأنها تقوم على أساس المشاركة الفاعلة في مواسم الأفراح، الأعراس، القدوم الى الحج، الاخوانيات وموسم الأحزان، محافل التآبين فيغلب عليها طابع (أدب المناسبات وهو المناخ العام السائد في النجف الأشرف(٤٤).

ومن ذلك قوله في الحفلة الأربعينية الكبرى التي أقيمت للفقير الشاعر الشيخ محمد جواد الشيبلي فيقول : (الطويل)

أقول الركب شيعوك الى الحمى يودّعهم قصر ويلقاهم

قبر

تباعد عنه - يعلم الله - لا قلى ولا عن جفا منه ولكنه

الدهر

قفوا نستمع من شاعر الخلد مقطع ال قصيدة مختوماً بإنشائها

العمر

دعوا واصف الأحياء ينطقَ فربما يعينَ له في بعض ما حلّوله

فكر

سلوه عن الأخرى وعن نُظم البلى وهل في البلى كوخ وهل في البلى

قصر

دفنك والفصحى والافماننا فلا ثروة في عالم الحق، لا

فقر

بكتك عيون الشعر شيخ صناعة وخريت عصر لا وجود به

عصر (٤٥)

فالشاعر صوّر فقد النجف لهذا العالم والشاعر الكبير، والشاعر النجفي يجد في أمثال هذه المناسبات مجالاً خصباً للتعبير عن عواطفه والافصاح عن مشاعر الحب والاحترام لذي العلاقة (٤٦).

ويبدو أن البيئة الاجتماعية أثرت تأثيراً كبيراً في نفسه، لأنها «الوسط الطبيعي والوسط الاجتماعي حيث يحيا الأديب» (٤٧).

والمجتمع النجفي بحكم طبيعته ومركزيته لديه الكثير من العلاقات الداخلية والخارجية فهو لم يقتصر على العلاقات الضيقة وإنما امتدت علاقاته الى دول أخرى، ومن ذلك قول الشاعر في قصيدته التي حملت العنوان (وهل يغلب الموت) التي «نظمت في رثاء سيف الإسلام نجل امام اليمن المتوفى غريقاً يوم ١٦ مايس ١٩٣٣م وبعثت مع مكتوب (رسالة) الى والده تعزية له» (٤٨).

فيقول : (المتقارب)

أسيف الهدى عزّ والله أنْ يُفَلَّ غرارك سيفُ الأجلِ
ويا بدر دين الهدى المستنير أَفَلَتَ فخطبك فينا جَلَلُ
كأن الجزيرة في عِظْمِها فؤاد بنار المصاب أشتعل
نُعيْتُ بصنعاء فاغرورقت بوادي الغريّ عليك المُقَلَّ (٤٩)

ينطوي هذا المقطع على مشاركة المجتمع النجفي على المواساة بالفقيد،
فالشاعر لم يقدم موقفاً عابراً أو قضية عرضية، بل شعراً نلمح في حال من
التوجع، والجعفري لم يترك الأحداث الاجتماعية التي عاصرها من دون أن
يتطرق لها، لأن الشاعر عضو في المجتمع ونتاجه يحاكي الحياة (٥٠). فهو
يصور ما يدور في المجتمع ويجسده في شعره .

الإحتفالات الدينية :

لكل أمم الدنيا وشعوبها مناسبات تحتفل بها وقد تشرك بعض الأمم في
عيد أو أكثر بدافع التقليد، أو بدافع الدين أو الخضوع السياسي. ومع ان تاريخ
الاعياد موغل في القدم فإن العامل الديني أسهم في تطريز فكرة الأعياد عند
الأمم سواء كانت تلك الأمم تدين برسالات السماء أم العبارات المختلفة
الأخرى (٥١).

وللاحتفالات الدينية في النجف الأشرف نصيب وافر من الاهتمام
والعناية وهي كثيرة ومتنوعة منها، شهر رمضان فقد حضي شهر الصوم
وطوقسه العبادية والاجتماعية بسهم وافر من ديوان الشعر النجفي وغطى

مساحة كبيرة منه وللبيئة في ذلك أثرها، فقد اختصت النجف دون سائر بلاد الله بطقوس رمضان على الصعيدين العام والخاص، إذ تحتفل شرائحها الاجتماعية، كل على طريقته، وكل بحسب تطلعاتها، ولعل من قدّر له أن يشهد هذا الشهر في النجف ويراقب طقوسه عن كثب، يلمس بوضوح هذا التفرد المحبب على الرغم مما يطفو على سطحه من تباين، وما يتخلله من مفارقات، إذ يتجرد بعضهم للصلاة، ويقتضي آخرون في مجالس السمر... الخ .

في حين يأخذ فريق ثالث طريقه الى مجالس اللهو وغيرها من العادات الاجتماعية^(٥٢) ومما اعتاده الناس في النجف إقامة موائد الإفطار، ودعوة الصائمين إليها تقرباً الى الله وطلباً لثوابه، والغاية المتوخاة من الحث على ذلك، تقوية الأواصر الاجتماعية من جهة، ومواساة الفقراء، وإعانتهم من جهة أخرى، غير ان بعضاً من (الموسرين) لم يدركوا ذلك، أو تغافلوا عنه، فقد اعتادوا أن يدعوا في قصورهم موائد تحفل بكل ما لذ وطاب من طعام وشراب، يتفننون في تنويعه وسياق بعضهم بعضاً في تجويده واغناء مائدته التي لا يدعى إليها إلا الوجهاء والموسورون - وفيهم من لم يلامس قلبه الإيمان، ويعرف الخير طريقة إليه، أما الفقراء والمغمورون من عباد الله، فلا ينالهم من تكلم الموائد إلا القليل القليل، والغريب أن يجري كل هذا تحت ستار من طلب الثواب، وأن يقام على اسم الله^(٥٣).

والشاعر صالح الجعفري كعادته بجرأته على مختلف الأصعدة قد التفت إلى هذه الظاهرة وانتقدها في رباعية مؤثرة ويقول فيها :

تلف موائد وتص أخرى على اسم الله في الشهر الصيام

وضاف القصر بالعظماء حتى تشجأ واستغاث من الزحام
بحثت عن اليتيم فلم أجده وهل يدعى لمائدة اللئام
نعم شاهدته والكلب وجهاً لوجه.. واقفين على العظام (٥٤)

نستشف من هذا النص ان الشاعر يرفض هذه الازدواجية التي يتصف بها بعض المجتمع, فالبعض يقول ما لايفعل, فالشاعر أراد أن يعالج قضية انسانية الهدف منها إنصاف الفقراء والغاء الطبقة في المجتمع.

وقد يتمادى بعض هؤلاء في قسوته وإسرافه فلا يوجد طرفه بنظرو
رفق حتى جاره القريب المعدم أو يذكره بمعروف في هذا الشهر وفي ذلك
يقول :

تهل وجه عبد الله شهراً لشهر الصوم
والأكل الكثير
فجهز بيته من كل لون وأسرف بالبقول
وبالبذور
فقلت لجاره الأدنى ومما تؤلف أنت مائدة
الفضور
فقال من الذي فطرت عليه جيع الشعب ... من
خبز الشعير

ومن هذه الاحتفالات الدينية التي يحتفل بها المجتمع النجفي هي أيام
الحج وعودة الحجاج, فيقوم الناس بتوديع الحجاج أو التهئة أثناء عودتهم, اذ
يقوم الحجاج بفتح بيوتهم لاستقبال الناس, وليس بدعاً أن يلتقي الشاعر النجفي

في التعبير عن عواطف المجتمع^(٥٥). كما ان للعرف الاجتماعي دوره, حيث يرى المجتمع النجفي إنّ مثل هذه الاحتفالات تعمل على تقوية الأواصر المجتمعية والشاعر النجفي أيضاً «يجد في مثل هذه المناسبات مجالاً خصباً للتعبير عن عواطفه والإفصاح عن مشاعر الحب والاحترام..»^(٥٦).

وسجل الكثير من الشعراء أشعارهم في هذه المناسبات في التهنئة تارة وأخرى في التوثيق التاريخي لها . أما الشاعر صالح الجعفري فقد كان واقعياً في انتقاد الحاج الذي لم يلتزم بمعايير الحج والذي يأخذ من الحج مظهر تقليدي, ومن ذلك قوله في سيرة زعيم العراقي كرس أيام حكمه لاضطهاد شعبه وقد ذهب الى بيت الله وعاد منه ليستأنف سياسته من جديد فقال الجعفري:

رَأَيْتُكَ عِنْدَ بَيْتِ اللَّهِ تَسْعَى فَقُلْتُ لَعَلَّهُ اسْتَحْيَا

وَتَابَا

وَمَا أَنْ عَدْتُ حَتَّى عَدْتُ ذَنْباً أَسَنَّ مَخَالِباً وَأَحَدَ نَابَا
صَعَدْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَلَسْتُ تَدْرِي بِأَنْ لِكُلِّ شَيْطَانٍ شَهْبَا

وفي قصيدة أخرى يقف الجعفري بجرأته المعهودة مشيراً الى نمط من الحجاج ممن يظن انهم لبوا نداء الله بحجهم, في وقت باعوا فيه وطنهم, مقارناً بين حج هؤلاء ونضال الشعب الهندي من اجل استقلاله وسيادة بلده :

قَمِ فِي مَنَى وَاهْتَفِ بِمَزْدَحِمِ الْقَبَائِلِ وَالْوَفُودِ
الْغَائِبِينَ الْحَاضِرِينَ بِقَلْبِ شَيْطَانٍ مَرِيدِ
لِبَيْتِهِمْ لَلاتِ لَا إِلَهَ لِلْعَرْشِ الْمَجِيدِ
بِعَظْمِ لِدَارِ الْاعْتِمَادِ قُصُورِ جَنَاتِ الْخُلُودِ

حجوا : فلستم بالغين بحجكم شرف الهنود

حجوا الى استقلالهم وحججتهم خوف الوعي

فالشاعر يريد أن يقول لهؤلاء أنكم لم تخلصوا الحج لله عز وجل بل كانت قلوبكم قلوب شياطين لا قلوب مؤمنين ويصف حجهم بالمراءات, ويقارن بين خنوعهم للإنكليز وقصدهم للمعتمد السامي البريطاني, على العكس من الهنود الذين حجوا الى استقلالهم .

المبحث الثالث

الحياة السياسية والأدبية

أولاً : الحياة السياسية:

واكبت مدينة النجف الأشرف مسيرة تاريخ العراق السياسي الحديث, عايشة خضم تحولاته في ظل تقلب العثمانيين والإيرانيين على حكم العراق, وصراعاتهم العسكرية والسياسية للاستحواذ عليه طوال ما يقارب اربعة قرون, وكان قرب النجف من الحالة السياسية, وتفاعل هذه الحالة معها أمر استدعته قدسيته ومكانتها السامية في نفوس المسلمين كافة, فكان للنجف منذ مطلع العصر الحديث, حضور في المشهد السياسي, ونصيب من حوادثه^(٥٧).

والشعراء لا يمكن لهم أن يبتعدوا عن تصوير الحياة السياسية في المجتمع لأنها متواشجة معهم, ولأنّ الشعر «يؤثر فيهم ويهز خواطرهم و يوقظ مشاعرهم, ويعينهم على فهم الحياة ويوجههم الى أرفع المثل وأنبأ الغايات»^(٥٨).

وكان للنجف مواقف من التطورات السياسية والخارجية الرافضة للاحتلال سواء ذلك عثمانياً كان ام بريطانياً, والمجتمع النجفي كان له وعي سياسي يرفض كل الأمور السياسية التي لا تتسجم مع طبيعته, مثلاً موقفه الراض للمعاهدة البريطانية العراقية, ففي عام ١٩٣٠ كانت شوارع النجف ومحلاتها مسرحاً للمحاضرات والاحتجاجات ضد المعاهدة التي عقدت في هذا العام^(٥٩).

وقد نظم الشاعر في هذا العام قصيدته (ما السجن عار على الابطال)
على أثر مقاطعته الحزب الوطني للانتخابات البرلمانية المتكونة على أساس
مصادقة هذه المعاهدة فيقول: (البسيط)

لسنا نُقيم على ذُلٍ يُراد بنا بل نطلب العزَّ أنى

كان, فارتقبوا

ما قيمة العهد مكذوباً ومختلفاً العهد ما خلقتة

البيض واليئب

إنا سنمنا وعود القوم عاريةً عن الحقيقة محشواً بها

الكذب

جاءوا بمهزلةٍ في إثر مهزلةٍ فكلما جدَّ جدَّ الشعب هم

لعبوا

تربّعوا فوق دسّتِ الحكم لا رفعوا ظلاماً وحبال الظلم قد

نصبوا

لا تُغضبوا الشعب خطاً من كرامته فالليث يضرى إذا ما احتاجه

الغضب

خلّوا الحكومة للشعب الحقيق بها فما لكم نسبٍ فيها ولا

حسب (٦٠)

وكذلك يلوم الشاعر أبناء الشعب الذين لا يملكون سوى الزعيق
والغضب, في الوقت الذي أكل الصدا سيوفهم وهي مغمدة, حين يقول :

فيم الزعاق وفيم الويل والحرب؟ والحق أضيع أو تستله

القضب

قد يعمل السيف بالأوضاع منفرداً ما ليس يعمل فيها

الجحفل اللجب

ثم يتحول الى البرلمان الذي صادق على معاهدة ١٩٣٠ مؤكداً عدم شرعيته لأن الشعب حينئذ كان معارضاً للإنتخابات غير الديمقراطية ومقاطعاً لها لأنها لاتمثل إرادة الأغلبية فيقول :

ما الانتخابات بمشروع اذا اتفقت كل البلاد على ان ليس

تنتخبُ

أبرلمان وهذا الشعب قاطعه إلا القليل وكم حقت بهم

ريبُ

ما مثل المجلس المعقود امتة وإنما عقوده وفق ما

رغبوا

خد عتم الشعب بالأشباح ماثلة جوفاء تسترّها أثوابها القشبُ

كأنّ لندن مغناطيس مجلسنا فحيثما جذبته تلك ينجذبُ

منها القرار ومنا ان ننفضه والأمرمناها ومنها الطوع

والأدبُ

وكذلك صوّر دور المجتمع العراقي بصورة عامه والنجفي بصورة خاصة في الثورة العراقية الكبرى، ثورة ١٤ تموز عام ١٩٥٨ هذه الثورة «التي اسهمت في إسقاط النظام الملكي في العراق واعلان النظام الجمهوري»^(٦١). فيقول: (السريع)

من مبلغ أحرارنا أنهم فازوا من الأجر بأوفى نصيب

لبؤا نداء الشعب مستخرصاً في حين لا من سامع أو مجيب

كانوا مع الصبح على موعدٍ لمحو ليل الظالمين الرهيب
فكلن عند الفجر أرّخ لهم نصر من الله وفتح قريب^(٦٢)

نلاحظ أنّ الشاعر يمجّد قيم البطولة والتضحية للأحرار ودورهم في بناء المستقبل, والشاعر قد أجاد في الوصف متخذاً من فنون البيان جسراً رابطاً بينه وبين المتلقي ففي البيت الثالث جعل من الصبح انسان عاقل يسمع ويجب عبر الاستعارة المكنية إذ حذف المشبه به وجعل دليلاً عليه وهو (الموعد) .

وكما أشرنا سابقاً ان النجفيين لن تقتصر مواقفهم على الأمور الداخلية للبلاد وإنما امتدت مواقفهم الوطنية الى المجتمع العربي ودول الجوار, مثلاً في عام ١٩٢٦م قام النجفيون بتأسيس نادي اجتماعي سياسي سمي نادي الاصلاح في النجف, كما كانت لهم مواقف في هذا العام منها جمع التبرعات لإغاثة المتضررين في الثورة السورية الكبرى, ودعمهم لحركة المقاومة العربية في فلسطين بعد تصاعدها في آب عام ١٩٢٩م وكان للشعراء دورٌ بارزٌ في ابراز الحس القومي للمدينة, منهم الشاعر صالح الجعفري^(٦٣) قال:

فلسطين هي أم الرزايا وهي اليوم ساحة حربية
شبّ بركانها في القدس ولكن عمّ كل الجزيرة العربية^(٦٤)

فالشاعر يصور دور النجف الوطني العروبي العابر للحدود الضيقة للبلاد, وتجسيد الحماس في روح المجتمع المختلفة وتأكيد مصير الإخوة العربية ومشاركتهم همومهم المختلفة .

ثانيا : الحياة الأدبية :

نشأت في النجف العديد من الجمعيات الأدبية والثقافية, وهي عنوان

النجف بحق, اذ لا تخلو أسرة علمية في هذه المدينة الجادة من ان يكون لها منتدى أدبي أو مجلس علمي لهذا الفرع من الأسر أو ذاك يلتقي فيه الأعلام من علماء النجف وشعرائهم وأدبائهم ووافديهم يتجادبون اطراف الحديث في مسائل علوم القرآن والفقه والأدب^(٦٥).

ولذلك كانت النجف تزدهم بالنوادي العلمية والأدبية فكل له محفله يؤمه اصداقؤه ومعارفه من هواة الادب, حتى إنك لا تمر بدار من دورها, أو بيت من بيوتها ولا محفل من محافلها, الا وتسمع صوت المذاكرة بالمسألة العلمية على انواعها وترى حلقات الحديث وثيقة العرى متماسكة الاطراف, ومجالس الأدباء يدور فيها الحديث عن الأدب وفنونه قديماً وحديثاً من الشعر ومقالة ومساجلات أدبية ومطارحات شعرية بمختلف أنواعها يحضرها جمع من العلماء والأدباء وغيرهم وهي من اكثر المجالس عدداً في النجف^(٦٦).

فالجمعيات والمؤسسات والنوادي وان اختلفت في المسالك وتباينت في المناهج إلا انها لا تسعى إلا لخدمة الإنسان, لذلك أنجبت مجالسها الشخصيات البارزة والأفكار النيرة التي استطاعت تأسيس الجمعيات والنوادي الثقافية التي كانت لها اثراً بارزاً في حقول الحياة العامة^(٦٧).

ومن هذه الجمعيات التي ذكرها صالح الجعفري كثيراً في شعره هي (جمعية الرابطة الأدبية) التي أسست عام ١٩٣٢, وأسهمت مساهمة فاعلة في بعث الحركة الادبية في النجف الأشرف, وكان من أبرز أهدافها نشر الأدب العربي وتمنيته عن طريق عقد الأمسيات الأدبية والشعرية, وعملت على ان تكون واسطة اتصال بين أدباء الأمة العربية وعلمائها وبين أبناء مدينة النجف

ورجالها دينها^(٦٨).

أشار الشاعر الى (مهرجان الأدب الحي) الذي كانت تعقده جمعية
الرابطة الأدبية في النجف الأشرف وهو يرثى الشيخ محمد علي اليعقوبي،
عميد الرابطة الأدبية في النجف فيقول : (الطويل)

تلفتُ نحو (المهرجان) فلم أجد أنيساً ولا من سامريه سوى

الذكرى

كأن لم تكن أعضاء جسم موحدٍ وكان أبو موسى لنا القلب

والصدرا

ومن مبلغ تلك الليالي التي خلت بأنّا جرّنا بعدها العلقم

المّرا

فما انتظمت تلك الفرائد بعدها سموط تزين العقل لا الصدر

والنحرا

تودّ السما لو تقتدي بنظامها فتعتقد للأقمار (رابطة)

أخرى^(٦٩)

لقد أشار الشاعر الى منزلة المرثي ودوره الفاعل في تلك الرابطة التي
تقيم المهرجانات بشكل دوري في النجف الأشرف، وكذلك يصرح في البيت
الثالث بأن الحياة النجفية هي حياة أدبية يسودها اللقاءات الأدبية والمهرجانات
المرّة تلوّ الأخرى، اذ كانت هذه الرابطة بمثابة المحرك الفاعل لإقامة
المناسبات التي تعمل على توطيد العلاقات النجفية . ويقول : (مجزوء الكامل)

ملقى العقول ومجمع الـ للآراء والأدب الصّراح

مهوى القلوب وملتقى
الأرواح من ذبت البطاح
طُبِعَتْ على الحق اليقين
فأعرضت عن كل لاهي
والحق أضعف ناصراً
ما لم يؤيِّد بالجماح
شاهدتها تمحو الضلَّاء
لَهْ فَعَلَ أنوار الصِّباح
وشعارها عند اختلاف
الرأي حيَّ على الفلاح (٧٠)

وقال الشاعر أيضاً في قصيدته (تحية العلم والأدب) التي القيت في جمعية الرابطة تكريماً للوفد العالمي الذي وصل النجف سنة ١٩٣٩ والمؤلف من الشيخ سليمان ظاهر والشيخ أحمد رضا والشيخ أحمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان (٧١).

وفي هذه القصيدة جعل الرابطة بموازاة عكاظ اذ يقول :

لمن نواذٍ يخفق القلبُ لها؟
وباسم من تُنشدُ هذه

الخطبُ؟

وهل أرى سوق (عكاظٍ) قائماً؟
هل رجع (المربدُ) بعدما ذهب؟
لمن وجوهٌ كالصِّباحِ أشرقت
فأسفر النُّوار بعدما

اختجب

لولا الوقار والجلال سائد
لخلق النادي بهم من

الطَّرب (٧٢)

نلاحظ ان الشاعر يتساءل عن هذه النوادي لغرض وغاية عقلية أراد عن طريقها أن يجسد قيمة هذه النوادي ودورها الفاعل في ترسيخ قيم ومفاهيم الثقافة الأدبية في مدينة النجف الاشرف, اذ جعلها بموازاة المربد وسوق عكاظ

في اثاره القرائح واحداث ثورة ثقافية مميزة .

الخاتمة

وبعد استكمال هذه الرحلة الممتعة مع هذا البحث المتواضع يمكن إجمال النتائج التي توصلت إليها على النحو الآتي :

١ _ كان الجعفري شاعراً مجدداً لا يؤمن بالأطر التقليدية الكلاسيكية للمجتمع. فقد دعا إلى التطور و مواكبة العصر في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية التي من شأنها الارتقاء إلى المستوى الثقافي والفكري. لاسيما في دعوته إلى حرية المرأة واعطائها حقوقها التي سلبت بسبب تقاليد المجتمع .

٢ _ تميز الجعفري بشجاعته وجرأته بانتقاد المواقف والقضايا التي لا تتسجم مع التطور الحاصل على مختلف الأصعدة.

٣ _ صوّر الجعفري المجتمع النجفي بتركيبته المتنوعة الدينية والمدنية, فأكد دور الأسر العلمية في النجف الأشرف في الحياة الاجتماعية في المدينة من خلال المجالس الأدبية والدينية التي رعتها هذه الأسر مما أسهم في انساق المجتمع النجفي بنسق اجتماعي مميز.

٤ _ صوّر الشاعر العلاقات الاجتماعية المختلفة على مستوى الداخل والخارج من خلال تمسكه بإدامة العلاقات وعلى مختلف الأصعدة .

٥ _ للبيئة النجفية أثر خاص على جوهرية الأحتفالات الدينية, فكانت لها

طقوس خاصة تختلف عن باقي المجتمعات الأخرى كالاحتفال بشهر رمضان وموسم الحج وغيرها

٦_ برّر الشاعر دور الجمعيات والمؤسسات العلمية والأدبية في رفد الحركة الفكرية التي أسهمت في أغناء المجتمع النجفي بالكثير من أمور الثقافة والمعطيات الحضارية الأخرى التي عرفها العالم .

٧_ تميّز المجتمع النجفي بوعيه السياسي، وكانت له مواقف كثيرة داخلياً وخارجياً برفض جميع وجوه الاحتلال المختلفة .

*** هوامش البحث ***

- (١) ينظر: شعراء الغري ، علي خاقاني : ٢٩٦ - ٢٩٧ .
- (٢) ترجمة محقق الديوان : ١٣/١١ .
- (٣) ترجمة محقق الديوان: ١٤ .
- (٤) ينظر: شعراء الغري، علي الخاقاني: ٣٠٦ / ٤ .
- (٥) ينظر: تاريخ الشعر العربي حتى اخر القرن الثالث هجري، نجيب محمد البهبيتي، : ٣
- (٦) ينظر: اتجاه الشعر الإسلامي في العصر العباسي، عبد الهر بن ابراهيم الجيهمان، (رسالة ماجستير) : ٣
- (٧) ينظر: الشعر والشعراء، ابن قتيبة : ٨
- (٨) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، د. ابتسام احمد حمدان : ٩٣
- (٩) سكيلوجية الإبداع في الفن والأدب، يوسف ميخائيل أسعد : ١٨٥
- (١٠) النقد الأدبي، أحمد أمين: ٢٤ .
- (١١) ينظر: الأسس الجمالية في النقد الادبي، د. عز الدين اسماعيل: ٨٨ .

(١٢) سيولوجية الأدب (دراسة الواقعة الأدبية على ضوء علم الاجتماع)، د. قصي حسين:

١٩.

(١٣) ينظر: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د. عبد القادر القط، ٤٤٠.

(١٤) ينظر: حركة الشعر العربي في النصف الأشرف واطواره خلال القرن الرابع عشر

الهجري (دراسة نقدية)، د. عبد الصاحب الموسوي: ١١٦ - ١١٧.

(١٥) مدخل الى مناهج النقد الادبي، مجموعة من الكتاب، ترجمة د. رضوان ظاظا: ٦٧٠.

(١٦) ينظر: تاريخ النصف السياسي، د. عبد الستار شنين الجابري: ٢٢.

(١٧) ينظر: النصف في ربع قرن منذ سنة ١٩٠٨، محمد علي كمال الدين: ٦٢ - ٦٣.

(١٨) ينظر: حركة الشعر في النصف الأشرف واطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري،

دراسة نقدية، د. عبد الصاحب الموسوي: ١٧٧.

(١٩) ينظر: الحياة الفكرية في النصف الأشرف، د. محمد باقر احمد البهادلي. ٨٩ - ٩٠.

(٢٠) المصدر نفسه: ٩٢ - ٩٥.

(٢١) ينظر: التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير: جميل موسى النجار: ٧٢.

(٢٢) ينظر: الحياة الفكرية في النصف الأشرف، د. محمد باقر احمد البهادلي: ١٠٨.

(٢٣) المصدر نفسه.

(٢٤) ينظر: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، د. علي الوردي، ٢٦٢/٣.

(٢٥) ينظر: الحياة الفكرية في النصف الأشرف، د. محمد باقر أحمد البهادلي: ١٠٩ - ١١٠.

(٢٦) المصدر نفسه: ١١٦ - ١١٨.

(٢٧) ينظر: النصف عاداتها وتقاليدها، طالب علي الشرقي: ١٦٧.

(٢٨) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د. علي الوردي: ٢٩٠.

(٢٩) صالح الجعفري شاعراً، د. زهير غازي زاهد، مجلة الكتاب، العدد الأول، ١٩٧٥:

٣٥ - ٤٠.

(٣٠) الديوان: ١٩٣.

(٣١) المصدر نفسه: ١٩٣.

(٣٢) الديوان: ١٩٤.

(٣٣) رباعيات بابا طاهر، صالح الجعفري، (مقدمة المحقق: رياض صالح الجعفري): ٨١.

(٣٤) ينظر: النصف عاداتها وتقاليدها، طالب علي الشرقي: ١٥٠.

- (٣٥) الديوان : ١٠٧
- (٣٦) ينظر: النجف عاداتها وتقاليدها: طالب علي الشرقي: ٢٧.
- (٣٧) الديوان: ١٦٧.
- (٣٨) ينظر: نظرية الأدب، رنيه ولك، أوستن وارن، ترجمة: د. عادل سلامة: ١٣٤ - ١٣٥.
- (٣٩) الديوان: ١١٩.
- (٤٠) ينظر: الديوان (ترجمة المحقق): ١٤٣
- (٤١) المصدر نفسه: ١٤٤.
- (٤٢) ينظر: شعراء الغري، علي الخاقاني: ١١٦/١
- * جواد بن الحسين بن طالب البلاغي النجفي ينتهي نسبه إلى ربعة، فقيه مجاهد وشاعر كبير له من المؤلفات ما يربو على الخمسة والعشرين مؤلفاته منها، الهدى إلى دين المصطفى، تفسير القرآن، نصائح الهدى، التوحيد والتثليث وغيرها، توفي في النجف سنة (١٣٥٢ هـ) ينظر: شعراء الغري، علي الخاقاني ٤٣٦/٢ .
- (٤٣) ينظر: الاستاذ البلاغي والاعتدال، د. محمد حسين علي الصغير، مجلة الاعتدال، السنة الأولى، ١٩٣٣: (المقدمة)
- (٤٤) ينظر: شعراء الغري، علي الخاقاني: ١٦/١
- (٤٥) الديوان: ١٤٦.
- (٤٦) ينظر: في الأدب النجفي مواقف ورجال، عبد الرضا القاموسي: ٦٣
- (٤٧) في الأسلوب الأدبي، د. علي بو ملحم: ٥٦.
- (٤٨) الديوان (ترجمة المحقق: ٢٦٨).
- (٤٩) الديوان: ٢٦٨.
- (٥٠) ينظر: نظرية الأدب : رينة وبلك : ١٣١
- (٥١) ينظر: النجف عاداتها وتقاليدها، طالب الشرقي: ٧٢_٧٣
- (٥٢) ينظر: في الأدب النجفي قضايا ورجال، محمد رضا القاموسي، ٧
- (٥٣) ينظر: المصدر نفسه، ٣.
- (٥٤) الديوان: ٤٢٥.
- (٥٥) ينظر: في الأدب قضايا ورجال، محمد رضا القاموسي: ٤٩-٥٢
- (٥٦) المصدر نفسه: ٦٢.

- (٥٧) ينظر: موسوعة تاريخ النجف الاشرف, د. جميل موسى النجار : ١٥
- (٥٨) التفسير الاعلامي للأدب, د. عبد المنعم خفاجي, ٦
- (٥٩) ينظر: موسوعة النجف الأشرف, جعفر الدجيلي : ٣٢٨/٤ _ ٣٣٠
- (٦٠) الديوان:
- (٦١) موجز تاريخ العراق الحديث, حليم أحمد : ١١٣
- (٦٢) الديوان: ٧٧.
- (٦٣) ينظر: تاريخ النجف السياسي (١٩٢١_١٩٤٢), عبد الستار شنين (رسالة ماجستير) كلية الأداب, جامعة الكوفة, ١٥٣: ١٩٩٧
- (٦٤) الديوان:
- (٦٥) ينظر: مواقف قومية في الأدب النجفي, مهدي جواد البستاني (بحث), مجلة كلية الفقة, ٣٤, ١٩٨٩ م
- (٦٦) ينظر : ماضي النجف وحاضرها, عبد الهادي الفضلي : ١٠١
- (٦٧) ينظر: ماضي النجف وحاضرها, جعفر محبوبة : ٣٣٦/١
- (٦٨) المصدر نفسه : ١٠١ _ ١٠٦
- (٦٩) الديوان : ١٥٦
- (٧٠) الديوان : ١٢٠
- (٧١) المصدر نفسه (ترجمة محقق الديوان : ٦٩)
- (٧٢) الديوان : ٧٠.

* المصادر *

- (١) تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري, نجيب محمد البهيهيتي, ط٣, دار الكتاب العربي, بيروت ١٣٨٧ هـ _ ١٩٦٧ م.
- (٢) اتجاه الشعر الاسلامي في العصر العباسي الأول, عبد الهير بن ابراهيم الجهمان (رسالة ماجستير), جامعة الأزهر, القاهرة, ١٩٧٣ _ ١٩٧٤
- (٣) الشعر والشعراء, ابن قتيبة (أبو محمد عبد الله بن مسلم ت ٢٧٦ هـ), ط٣ دار احياء العلوم, بيروت _ لبنان, ١٤٠٧ هـ _ ١٩٨٧ م.
- (٤) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي, مطبعة : دار القلم العربي, دبت

- (٥) سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب، يوسف ميخائيل أسعد
- (٦) النقد الأدبي، أحمد أمين، ط٤، دار الكتاب العربي، بيروت _ لبنان، ١٣٨٧هـ _ ١٩٦٧م
- (٧) الأسس الجمالية في النقد العربي، د. اسماعيل عز الدين، ط٣، منشورات وزارة الثقافة والاعلام، بغداد _ العراق، ١٩٨٦ م
- (٨) سيولوجية الأدب (دراسة الواقعة الأدبية على ضوء علم الاجتماع) د. قصي الحسين
- (٩) الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، د. عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت _ لبنان، ١٩٧٨ م
- (١٠) حركة الشعر في النجف الأشرف واطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري (دراسة نقدية)، د. عبد الصاحب الموسوي، ط١، دار الزهراء للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٨
- (١١) مدخل الى مناهج النقد الأدبي، مجموعة من الكتاب، ترجمة د. رضوان ظاظا، المجلس الثقافي للفنون، الكويت ١٩٩٧
- (١٢) تاريخ النجف السياسي، د. عبد الستار شنين (رسالة ماجستير) كلية الآداب جامعة الكوفة، ١٩٩٧م
- (١٣) النجف في ربع قرن منذ ١٩٠٨، محمد علي كمال الدين، تحقيق كامل سلمان الجبوري، ط١، دار القارئ للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م
- (١٤) الحياة الفكرية في النجف الأشرف، د. محمد باقر أحمد البهادلي، ط١، ٢٠٠٤م
- (١٥) التعليم في العراق في العهد العثماني الأخير، جميل موسى النجار، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠٠١م
- (١٦) لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، د. علي الوردي، ط١، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٩م
- (١٧) دراسة في طبيعة المجتمع العراقي، د. علي الوردي، بغداد، ١٩٠٣م
- (١٨) النجف عاداتها وتقاليدها، طالب علي الشرقي، مطبعة الأدب، النجف ١٩٧٨م
- (١٩) ديوان صالح الجعفري، جمع وتحقيق د. علي جواد طاهر وثائر حسن جاسم، دار الحرية للطباعة بغداد، ١٩٨٥م
- (٢٠) رباعيات بابا طاهر، صالح الجعفري، تقديم رياض صالح الجعفري
- (٢١) نظرية الأدب، رنية ولك، أوستن وأرن، ترجمة د. عادل سلامة، دار المريخ للنشر.

- الرياض_ السعودية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م
- (٢٢) شعراء الغري، علي الخاقاني، مطبعة بهمن، قم _ ايران، ١٤٠٨هـ
- (٢٣) في الأدب النجفي قضايا ورجال، محمد رضا القاموسي، ط١، دار المثنى للطباعة والنشر، بغداد، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م
- (٢٤) في الأسلوب الأدبي، د. علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، ط٢، ١٩٩٥ م
- (٢٥) التفسير الاعلامي للأدب، د. محمد عبد المنعم خفاجي، عبد العزيز شرف، ط١، دار الفكر العربي، بيروت ١٩٨٠ م
- (٢٦) موسوعة تاريخ النجف الأشرف السياسي الحديث والمعاصر، ١٩٥٨، د. جميل موسى النجار، مركز النجف الأشرف للتأليف والتوثيق والنشر ٢٠١٢ م
- (٢٧) موسوعة النجف الأشرف، جعفر الدجيلي، ط١، دار الأضواء، النجف الأشرف ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م
- (٢٨) موجز تاريخ العراق الحديث (١٩٢٠ _ ١٩٥٨)، حليم احمد، ط١، دار ابن خلدون، بيروت، ١٩٧٨ م
- (٢٩) دليل النجف الأشرف، عبد الهادي الفضلي، مطبعة النجف، ١٩٦٠ م
- (٣٠) ماضي النجف وحاضرها، جعفر محبوبة، ط٢، دار الأضواء، بيروت _ لبنان، ١٤٠٦ / ١٩٨٦م

المجلات:

- ١ _ مجلة كلية الفقه _ جامعة الكوفة _ العراق
- ٢ _ مجلة الكتاب _ النجف الأشرف، العراق.

